الصّحافة: تجربة فريدة ومسيرة تشكيلية خلاّقة لـ«رسّام الجمال»

احتضن فضاء بيت الحكمة بضاحية قرطاج بالعاصمة مساء الاثنين 4 اكتوبر ندوة علمية تخللها عرض لبعض اللوحات وعرض شريط وثائقي قصير وذلك في اطار الاحتفال بمائوية ولادة الفنان التشكيلي التونسي علي بن سالم الذي ولد سنة 1910 وتوفي بستوكهولم بالسويد في 20 فيفري 2001 وترأس هذه الندوة السيد عبد الرؤوف الباسطي وزير الثقافة والمحافظة، على التراث بحضور كل من عبد الوهاب بوحديبة رئيس المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون «بيت الحكمة» الى جانب السيدة كريستين هادية بن سالم ارملة الفقيد وثلة من المثقفين والمختصين في المجال الفني وقد افتتح المعرض على الساعة الثالثة بعد الزوال بعرض بعض النماذج من لوحات الفنان الراحل او رسام الجمال، كما يسميه البعض، ثم ضمت الجلسة الافتتاحية كلمة كل من السيد الوزير الذي قدم لمحة عن حياة الفنان ومسيرته الفنية وما تركه من آثار اسهمت في اثراء الموروث الفني التشكيلي التونسي.

وقدم الاستاذ عبد الوهاب بوحديبة البرنامج احتفالا بالمائوية وما سيصاحبه من اصدارات توثق الاعمال الكاملة لعلي بن سالم لجمع اثاره وارثه الفني.اما الكلمة الاكثر تأثيرا فكانت تلك التي القتها ارملته السيدة كريستين حيث عبرت عن حبها لتونس الذي نقله لها زوجها الراحل حتى قبل قدومها إليها عبر لوحاته المتجذرة والمرتبطة ارتباطا وثيقا بجمالية تونس من خلال ألوانها وأضوائها وعبر شخصه الذي لم ينقطع عن تونس ولو برهة في أعماقه.

علي بن سالم ومراحل مسيرته الفنية

هكذا كان فنان الجمال والرمزية المجازية بتفتحه على عديد التقنيات وتدرج رحلته التشكيلية بمراحل مختلفة كما يوضح ذلك الأستاذ خليل قويعة في محاضرته الإفتتاحية «جنان الخلد أو البهجة المستحيلة» حيث أمضى الفنان فترة ما بين الثلاثينات والأربعينات في رسم المدينة العتيقة بمحاكاة للمشاهد اليومية من أسواق وحرفيين وعادات وتقاليد تونسية وصولا الى حفلات الأعراس والختان لتكون بذلك المدينة الأم بوابة لمقاربة الشكل والفضاء والمرأة رمز الجمالية بالفن المستمد من الجذور.

أما المرحلة الثانية التي امتدت من سنة 1938 الى غاية1950 فقد تمخّضت عن نضج فني من خلال أعمال أصبح فيها الشكل اكتشافا وليس ذاكرة وتسارع فيها نسق الأداء فأصبح الفنان يسبح في فضاء الانطباعية والتعبيرية المجردة لتأتي المرحلة الثالثة متوجة مسيرة من التجارب الفنية والثراء التقني والوجداني دامت منذ الخمسينات الى غاية وفاته سنة 2001 وتناولت فيها أعماله عالما طوباويا لا يستند لمنطق الزمن والحدود بل قدم فيها بن سالم فنا عفويا حرّا لم يتقيّد بمقاييس الصورة والشكل رغم كونه اعتبر رساما أكاديميا صرفا حيث برزت المرأة نبع الأنوثة في أعماله قيمة جمالية وعنصرا ثابتا في جنته تلك الجنة الخالدة جنة عدن المفقودة حينا والمستعادة حينا آخر فكأنما سعى الفنان طيلة رحلته الوجودية الى ايجاد أو خلق جنته هو في عالم انطلقت فيه الفرشاة من المحدود الى اللاّ زمان والبهجة المشوقة فالجنة، على حدّ قول المسعدي، هي شيء «نصبو اليه، نبحث عنه ونرجو تحقيقه ولو في مخيلاتنا».

علي بن سالم فنان الألوان والمنمنمات

لعلّة لا يمكن لنا الحديث عن علي بن سالم دون ذكر ولعه بالمنمنمات الإسلامية والفسيفساء وتألقه في هذه التقنيات حيث يقول في احد المقالات التي كتبها «فهمت ان الزمن لا يفعل بالفسيفساء ما يمكنه فعله باللوحات وان الانسان اذا ما رحل لا تبقى منه سوى الاحجار والغبار» ففي سعي بن سالم لتحويل بعض لوحاته الى فسيفساء ومنمنمات بحث وراء تخليدها او لعلّه تخليد نفسه فالفنان الراحل عبر مروره بتجارب مختلفة وتقنيات متعددة ابدى لنا ثورته على الحدود الزمانيّة وسموّه بروحه الابداعية الى عالم بديل مخلوق من جمالية الألوان واشراقات من ضياء الفنّ على غرار عنوان الشريط القصير الذي عرض مسيرة الرسام علي بن سالم ورحلته المادية والنفسية من بلاد الشمس الى عواصم الثلوج وعودة الى النور بعد النضج وبعد عرض الشريط جرى نقاش شارك فيه كل الحضور والأساتذة المحاضرون بالجلسة العلمية لتختتم الندوة على الساعة الثامنة ليلا وتترك فينا ضياء متوهجا لما حملناه من رحلة الفنان ومن أعماله التي

جعلت للفنّ روحا وكيانا حيّا بقيت خالدة رغم رحيل صانعها.